

التلقيح كآلية وقائية وانعكاساتها على صحة الطفل

الأستاذة: بلعموري نادية
أستاذة محاضرة ب- جامعة وهران 2 محمد بن احمد- الجزائر
عضو بمخبر القانون الاجتماعي

تاريخ الإرسال: 2018/06/01 تاريخ القبول النهائي: 2018/10/20 تاريخ النشر: 2018/12/31

الملخص:

للتلقيح دور وقائي من تفشي الأمراض الخطيرة على صحة الفرد والمجتمع، ويندرج ضمن آليات الضبط الإداري للمحافظة على النظام العام في جانبه الصحي، ولهذا الغرض يجب القيام بعملية الموازنة بين فوائد التلقيح وأمنه وبين مخاطر المرض المعدي الخطير بالنسبة للفرد و المجتمع. ويبقى الطبيب المرجع الوحيد للتأكد من لطريقة وسلامة إعطاء اللقاح، وعدم وجود أسباب مانعة لإعطائه، أي ضرورة القيام باستبيان ما قبل التلقيح، للتأكد من صحة الطفل وعدم وجود أي مانع ظريفي أو دائم قد يسبب له آثار جانبية خطيرة. ويقع على عاتق المصالح الصحية المختصة واجب التأكد من سلامة اللقاحات من حيث مصدرها، مكوناتها وفعاليتها وطريقة حفظها.

الكلمات المفتاحية: التلقيح؛ اللقاح؛ المناعة؛ الوقاية؛ الصحة العمومية؛ المسؤولية.

Abstract:

Immunization has a protective role in the spread of serious diseases to public health, and is part of the administrative control mechanisms for maintaining public order in the health component, and for this purpose there must be a balance between infectious diseases that are dangerous to public health, the individual and society and the benefits of vaccinations. The doctor remains solely responsible for the safety of the vaccine and the absence of contraindications, namely the need for a pre-vaccination questionnaire to ensure the health of the child and the absence of temporary contraindications, or permanent that may cause serious side effects. It is the duty of the competent health authorities to ensure the safety of vaccines in terms of origin, components, efficacy and conservation.

Keywords: vaccine; vaccinations; immunity; prevention; public health; responsibility.

مقدمة:

يعتبر التلقيح حق لكل طفل، وواجب على الأسرة والمجتمع، حيث يعد أقوى وأبجع وسيلة وقائية ضد أمراض خطيرة وقاتلة، والتي غالبا لا يكون لها أي علاج وإن وجد فهو مكلف جدا، وعليه فإن التلقيح أو التطعيم يوفر الحماية الفردية للشخص الملحق، والحماية الجماعية عبر الحد من انتقال المرض إلى محيط الأسرة والمدرسة، وبالتالي الحد من انتشار الوباء.

ومن هذا المنطلق تنصح المنظمة العالمية للصحة، بل تحت على إتباع برنامج تلقيح عالمي موحد، والالتزام به مع إمكانية تعديله حسب متطلبات البيئة وخصوصية كل بلد آخذة بعين الاعتبار العمر الأنسب لإعطاء الطفل أي لقاح ونسبة تجاوب جسمه معه ومدى قدرته على تلقي مختلف أنواع التلقيحات وخطورة المرض على الأطفال، مما يستوجب التلقيح المبكر قبل فوات الأوان.

كما أكدّ المشرع الجزائري صراحة على إلزامية خضوع السكان للتطعيم الإجباري المجاني، قصد الوقاية من الأمراض المعدية، وهذا من خلال نص المادة 55 من الفصل الثالث من القانون رقم 85-05، المؤرخ في 16/02/1985، المتعلق بحماية الصحة وترقيتها المعدل والمتمم¹، الذي الغي بموجب القانون رقم 18-11 المؤرخ في 02-07-2018 المتعلق بالصحة، ولكن النصوص التنظيمية التطبيقية له تبقى سارية المفعول إلى غاية صدور النصوص التنظيمية المنصوص عليها في القانون رقم 18-11².

¹ القانون رقم 85-05، المؤرخ في 16/02/1985، المتعلق بحماية الصحة وترقيتها المعدل والمتمم، ج ر العدد 08.

² المادة 449 من القانون رقم 18-11 المؤرخ في 02-07-2018 المتعلق بالصحة، ج ر العدد رقم 46، الصادرة بتاريخ 29-07-2018.

وحدد في هذا الإطار وبموجب نصوص تنظيمية متفرقة مجموعة من التلقيحات الإجبارية، يخضع لها الأطفال منذ الولادة، مع الملاحظة أنّ المشرع لم يتعرض إلى الآثار التي يمكن أن تترتب عن مجمل هذه التلقيحات على الأطفال، وذلك لأنّ التلقيح يعد عملاً طبياً، وأنّ العملية مهما أحيطت بضمانات وقيود مشدّدة لسلامة الأطفال فإنّ ذلك لا يمنع من وقوع أضرار ومضاعفات، قد تبلغ حد من الجسامة يصل إلى الإعاقة أو الوفاة، وهذا الأمر الذي أدى إلى تردد وامتناع الآباء عن تلقيح أبنائهم واختلاف الآراء حتى العلمية منها، حول جدوى التلقيح وفعاليته وأمنه، ممّا يثير إشكالية هذه الدّراسة المتمثلة في مدى فعالية التلقيحات الإجبارية وأمنها؟ ومن هو المسؤول عن تحمل تبعه مخاطرها؟

وذلك ضمن مبحثين أساسيين:

-المبحث الأول: ماهية التلقيح الإلزامي وضرورته.

-المبحث الثاني: الجدل العلمي القائم حول فعالية التلقيح وأمنه.

المبحث الأول: ماهية التلقيح الإلزامي وضرورته

مع انتشار الأوبئة والأمراض المعدية وتناقلها بين الأشخاص، برز دور اللقاحات الوقائية في محاربة انتشار أمراض خطيرة قد تصيب الإنسان وتؤدي إلى أضرار وعاهات دائمة وأحيانا إلى الوفاة، وعليه أصبح التلقيح الإجباري نشاط من النّشاطات الطّبية لمؤسسات الصّحة العمومية، واتجهت معظم الدول إلى تسطير برامج تلقيح إلزامية تهدف إلى تأمين الحماية من هذه الأمراض، إلا أنّ الملاحظ على هذه التلقيحات أنّها تتسبب أحيانا في بعض المضاعفات والآثار الجانبية التي لا تقل خطورة عن المرض نفسه³، الأمر

³ - أسامة أحمد بدر، ضمان مخاطر المنتجات الطّبية - دراسة مقارنة-، كلية الحقوق، جامعة طنطا، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2005، ص. 267.

الذي يستوجب التعرض إلى ماهية هذه اللقاحات ووظيفتها للوقوف عند درجة فعاليتها وأمنها.

المطلب الأول: مفهوم التلقيح الإلزامي

إن ماهية التلقيح الإلزامي، تتحدد من خلال التعرض إلى تعريف التلقيح واللقاح وعلاقته بالمناعة ووظيفته، وأنواعه والأمراض المستهدفة من ورائه.

أولاً: تعريف التلقيح واللقاح

التلقيح إجراء وقائي يعتمد على إدخال جسم خارجي في جسم الإنسان من أجل الحماية ضد بعض الأمراض، وقد وظفت عدة مصطلحات للدلالة على التلقيح من أمثال التحصين والتطعيم والتمنيع الذي يجعل جسم متناوله ينتج مواد تعرف بالأجسام المضادة، ووظيفتها مقاومة الأمراض ولا تسبب في الأصل الأمراض لمتلقيها⁴.

ويختلف التلقيح عن اللقاح Vaccin في كون هذا الأخير عبارة عن بكتريا أو فيروس أو جزء من أي منهما، تم إخضاعه لعوامل فيزيائية أو كيميائية، بحيث أصبح ميتا أو ضعيفا غير قادر على التسبب في المرض، مع الاحتفاظ بالقدرة على تحفيز جهاز المناعة في الجسم على إفراز أجسام مضادة للبكتيريا أو الفيروس الذي يحتويه اللقاح ووظيفتها مقاومة الأمراض المعدية، وتحصين الإنسان ضد العدوى، وتعرف هذه العملية بالمناعة المكتسبة غير المباشرة⁵.

والمناعة هي الحصانة وقدرة الشخص على مقاومة الأمراض التي يصاب بها، بفضل الأجسام المضادة، وتأخذ صورتين أساسيتين:

⁴ - محمد صالح المنجد، أنواع اللقاحات الطبية وحكم التطعيم بها، <http://eslamqa.info/ar/159845>.

24/02/2017

⁵ Jaques Moreau, Didier Truchet, droit de la santé publique, 6eme ed, Dalloz, Paris, 2004, p179.

أ) المناعة الطّبيعية:

وهي عبارة عن حصانة يحصل عليها الطفل بواسطة انتقال الأجسام المضادة للميكروبات من الأم إلى الطفل عن طريق المشيمة خلال الحمل، وعن طريق الرضاعة الطّبيعية بعد الولادة.

ب) المناعة المكتسبة:

وتنقسم بدورها إلى قسمين، الأولي يكتسبها الطفل بشكل مباشر بعد إصابته بالمرض والثانية يكتسبها بشكل غير مباشر بواسطة اللّقاحات المختلفة.

ثانيا: وظيفة اللّقاح وأهميته

يعمل اللّقاح على تنشيط الخلايا التي تمكن الجسم من تفادي المرض، فعند دخول الميكروب أو الفيروس الموجود في اللّقاح إلى الجسم، تقوم الخلايا الخاصة في جهازه المناعي بإنتاج أجسام مضادة متخصصة، بالتّعرف على ذلك الميكروب أو الفيروس فتهاجمه وتقضي عليه.

وتختلف الفترة الزّمنية التي يستغرقها إنتاج الأجسام المضادة من لقاح لآخر، وهي تتراوح بشكل عام من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع بعد عملية التّلقيح⁶.

وقد يحتاج تحفيز إنتاج كمية كافية من الأجسام المضادة لمقاومة الميكروبات إلى جرعة واحدة أو إلى عدّة جرعات يختلف عددها من لقاح لآخر، حيث تتطلب بعض

⁶ - بوشي يوسف، الجسم البشري وأثر التطور الطّبي على نطاق حمايته جنائيا، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في القانون الخاص، كلية الحقوق، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2012/2013، ص. 83.

اللقاحات جرعات تذكيرية⁷، Rappel تعطى على مراحل لتثبيت إنتاج معدلات كافية من الأجسام المضادة، وهكذا يتجنب الطفل الملحق الإصابة بالمرض أو بأي من مضاعفاته⁸. وهنا تكمن أهمية التلقيح المتمثلة في تحفيز نظام المناعة في الجسم، وتمكينه من إنتاج الأجسام المضادة التي تحميه من المرض، وهكذا يعتبر وسيلة وقائية تمنع أو تقلل من انتشار الأمراض المعدية، التي قد تبلغ درجة كبيرة من الخطورة تصل إلى حد الإعاقة أو الوفاة⁹.

وهذا ما صرحت به منظمة الصحة العالمية حيث قدرت أنّ التلقيح يمنع 2 إلى 3 مليون وفاة في العالم بين جميع الفئات السنّية، و1,5 مليون طفل يموت كل سنة بسبب الأمراض التي يمكن منعها من خلال التلقيح و29% من حالات الوفاة للأطفال الذين لا تتعدى أعمارهم 5 سنوات¹⁰.

وقد اختفت أو انخفضت نسبة الإصابة ببعض الأمراض من دول العالم قاطبة بفضل وعي الدول والمجتمعات لأهمية التلقيح، فما هي أنواع اللقاحات الإلزامية والأمراض المستهدفة؟ مع الإشارة إلى أنّ الطّبيب يبقى المرجع الوحيد للتأكد من طريقة وسلامة إعطاء اللّقاح، وعدم وجود أسباب مانعة لإعطائه.

المطلب الثاني: الأمراض المستهدفة من اللّقاحات الإلزامية

لقد برز دور اللّقاحات الوقائية في محاربة تفشي أمراض خطيرة قد تصيب الإنسان، وتؤدي إلى أضرار وعاهات دائمة وصولاً إلى الوفاة.

⁷ - اللّقاح ضد الشلل مثلاً anti poliomyélite.

⁸ - اللّقاحات، أنواعها، تاريخها، أهميتها: 2014.02 <http://bohotmadrassia.blog.pot.com>

⁹ - اللّقاحات، أنواعها، تاريخها، أهميتها: 2014.02 <http://bohotmadrassia.blog.pot.com>

¹⁰ William DAB, la décision en santé publique, surveillance épidémiologique, Urgence et crise, ed école nationale de la santé publique de Rennes, France, 1993, page 53,

وتتعدد هذه اللقاحات بتعدد الأمراض المعدية في مختلف دول العالم، وإن اختلفت درجة انتشارها من دولة لأخرى، استنادا إلى عوامل التطور والتنمية، حيث يعطى على سبيل المثال لقاح مرض السّل "B.C.G" لكافة الأطفال في الدول النامية، ولا يعطى إلا لفئات معينة في أوروبا وأمريكا¹¹، وكذلك الأمر بالنسبة لباقى اللقاحات، كاللقاح ضد شلل الأطفال antipolio والحصبة Rougeole والحصبة الألمانية Rubéole والكزاز Tétanos والتهاب الكبد الوبائي Hépatite B ومرض المستديمة النزلية وهي عبارة عن جرثومة تسبب التهاب السحايا Ménigite عند الأطفال، والسعال الديكي Coqueluche والدفتريا Diphtérie....الخ.

وتوصي منظمة الصحة العالمية ببعض اللقاحات المركبة للوقاية من بعض الأمراض كاللقاح الثلاثي RoR ضد الحصبة Rougeole النكاف Oreillons والحصبة الألمانية Rubéole، ولمواجهة مختلف هذه الأمراض ومضاعفاتها تعمل مختلف دول العالم، وخاصة النامية على وضع برامج للتلقيح الإجباري، ومن بينها الجزائر¹².

أولا: موقف المشرع الجزائري من التلقيح الإجباري

نظم المشرع الجزائري عملية التلقيح باعتباره إجراء وقائي للتصدي لخطر الأمراض المعدية من خلال المادة 55 من القانون 85-05 المؤرخ في 16/02/1985، المتعلق بحماية الصحة وترقيتها المعدل والمتمم¹³، التي تنص على ما يلي "يخضع السكان

¹¹ - المرسوم رقم 69-88، المؤرخ في 18/06/1969، يتعلق بالتلقيح الإجباري، ج. ر، عدد 53.

¹² - بول مرقص، المسؤولية الناتجة عن اللقاحات، مجلة الصحة والإنسان، نقابة المستشفيات في لبنان، العدد 38، 2017، ص 24-27.

¹³ - القانون 85-05، المؤرخ في 16/02/1985، المتعلق بحماية الصحة وترقيتها المعدل والمتمم بموجب القانون رقم 98-09 المؤرخ في 23/09/1998، المعدل والمتمم بموجب القانون 06-07، المؤرخ في 19/07/2006، المعدل والمتمم بموجب القانون 08-13، المؤرخ في 03/08/2008، الملغى بموجب القانون رقم 18-11 المؤرخ في 02-07-2018 المتعلق بالصحة إلا في جانبه التنظيمي وفقا للمادة 449.

للتطعيم الإجباري المجاني قصد الوقاية من الأمراض المعدية، وهذا ما تأكد بموجب المادة 40 من القانون رقم 18-11 المؤرخ في 02-7-2018 المتعلق بالصحة.

وتحدّد عن طريق التّنظيم قائمة الأمراض العفنة المعدية التي تستوجب التّطعيم الإجباري¹⁴.

ومن هذا المنطلق تجري عمليات التّلقيح بصورة دورية من طرف السّلطات الصّحية المختصة، التي تفرض على الأولياء إجراء تلقيحات دورية وفق مواعيد وفترات زمنية محددة من أجل تحصين الأطفال خاصة، ضد الأمراض المعدية الخطيرة، وتكون على نفقتها. ولهذا الغرض فرض المشرع إنشاء دفترًا صحيًا قصد متابعة الحالة الصّحية للسّكان، حيث تنص المادة 28 من القانون 05-85 على أنّه: "ينشأ دفتر صحي قصد متابعة الحالة الصّحية للسّكان، ومتابعة أحسن وتسجيل دقيق للتّطعيم والعلاج الطّبيّ المقدمين". كما وضع المشرع الجزائري على عاتق المديرية الفرعية لبرامج التّلقيحات وترقية الصّحة المهام الآتية:

- تكلف بتنفيذ البرنامج الموسع للتّلقيح الإجباري ومتابعته وتقييمه.
 - تحديد الإستراتيجيات التّلقيحية وتحيينها وتطويرها.
 - تنفيذ البرامج الأخرى الخاصة بالأمراض المتحكم فيها بالتّلقيح ومتابعتها وتقييمها.
 - متابعة آثار ما بعد التّلقيح وتقييمها¹⁵.
- وهكذا بفضل البرنامج الخاص بالتّلقيح فقد تمّ التّحكم إلى حد كبير في عدد المصابين بالأمراض المعدية الخطيرة، وهذا لا يعني القضاء عليها بشكل نهائي، حيث لا

¹⁵ - المادة الثانية من المرسوم التّفيذي رقم 11-380، المؤرخ في 21/11/2011، تتضمن تنظيم الإدارة المركزية في وزارة الصّحة والسّكان وإصلاح المستشفيات.

زالت بعض الأمراض متفشية كمرض السّل بسبب الفقر وسوء التغذية وقلة النظافة أو انعدامها.

وبالمقابل تمّ القضاء نهائيا على مرض شلل الأطفال نتيجة برامج التلقيح المكثفة¹⁶.

ثانيا: رزنامة اللقاحات الإلزامية في الجزائر

لقد صدر عن وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات مديرية الوقاية الرزنامة الجديدة للتلقيح الإلزامي في الجزائر، والتي عدّلت وتمت بموجب القرار الصادر بتاريخ 2014/11/24، المحدد لجدول التلقيح الإلزامي المضاد لبعض الأمراض المتنقلة¹⁷.

وهذه الرزنامة الجديدة تدرج في إطار ترقية البرنامج الوطني للقضاء على الأمراض المعدية والخطيرة، كما نظمت وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات في الفترة من 6 إلى 15 مارس 2017، حملة تلقيح وطنية ضد الحصبة "Rougeole" والحصبة الألمانية "Rubéole" وذلك التزاما بتوصيات المنظمة العالمية للصحة ورأى اللجنة التقنية لخبراء التلقيح، وسيتم إدراج اللقاح الثلاثي المركب "ROR" ضمن رزنامة اللقاحات الجديدة، ابتداءً من 2017/03/24، بالنسبة للرضع البالغين 11 شهرا والتي ستضاف إلى جدول اللقاحات الإلزامية الذي يبدأ منذ الولادة وإلى مرحلة بلوغ سن الرشد، كما يتبين فيما يلي:

- عند الولادة التلقيح ضد مرض السّل B.C.G. "Tuberculose" وشلل الأطفال "Anti-poliomyélite" وضد التهاب الكبد الفيروسي "HBY1".
- الشهر الأول: ضد التهاب الكبد الفيروسي "HBY2" "Hépatite B".

¹⁶ - Rapport global du Ministère de la santé de la population et de la reforme hospitalière, politique national de la santé, évaluation et perspectives. Le 02/10/2007, page 24 et S.

¹⁷ - قرار مؤرخ في 2014/11/24، يحدد جدول التلقيح الإلزامي المضاد لبعض الأمراض المتنقلة.

- الشهر الثالث (3): التلقيح ضد الدفتريا Diphtérie + تيتانوس Tétanos، السعال الديكي Coqueluche + التهاب السحايا Ménigite + ضد الشلل Dtcophib+antipolio.
- الشهر الرابع: التلقيح ضد الدفتريا Diphtérie + تيتانوس Tétanos + السعال الديكي Coqueluche + التهاب السحايا Ménigite + ضد الشلل Anti-Poliomyélite + ضد التهاب الكبد الفيروسي ب Dtcophib. + antipolio HBY3.
- الشهر التاسع 9: التلقيح ضد الحصبة Anti rougeoleux rouvax.
- الشهر الثامن عشر 18: تذكير Rappel، تلقيح ضد الدفتريا Diphtérie + تيتانوس Tétanos، السعال الديكي Coqueluche، التهاب السحايا Ménigite.
- 6 سنوات: التلقيح ضد الدفتريا Diphtérie + تيتانوس Tétanos أطفال Dt enfant + ضد الشلل Antipolio + ضد الحصبة Rougeole.
- من 6 إلى 13 سنة: التلقيح ضد الدفتريا Diphtérie + ضد تيتانوس Tétanos بالغين Dt Adulte + ضد الشلل Anti-Poliomyélite.
- من 16 إلى 18 سنة: التلقيح ضد الدفتريا Diphtérie + ضد التيتانوس Tétanos بالغين Dt Adulte + ضد الشلل Anti poliomyélite.
- كل 10 سنوات بعد 18 سنة من العمر: التلقيح ضد الدفتريا والتيتانوس بالغين Dt. Adulte¹⁸.

هذا عن موقف المشرع الجزائري من التلقيح الإلزامي مع الملاحظة أنه لم يتعرض ولو بالإشارة إلى الآثار أو الأضرار التي قد يتعرض لها الطفل من جراء التلقيح الإلزامي، ذلك أن العملية مهما أحيطت من ضمانات من أجل سلامة الطفل، إلا أن

¹⁸ - القرار المؤرخ في 2014/11/24، يحدد جدول التلقيح الإلزامي المضاد لبعض الأمراض المتنقلة.

ذلك لا يمنع من وقوع مضاعفات وأضرار جسيمة قد تصيب الأطفال¹⁹، هذه الأضرار التي تفاقمت في العشرية الأخيرة وأدت إلى التساؤل حول فعالية اللقاحات وأمنها، ليس من طرف الأولياء فقط، ولكن أيضا من طرف ذوي الاختصاص من أطباء وباحثين وجمعيات حماية المرضى في عدّة نقاط من بقاع العالم²⁰، وانقسمت الآراء حول منكر ومؤيد لفعالية التلقيح وآثاره الجانبية على النحو الذي يتبين في الجزء الثاني من هذه الدراسة.

المبحث الثاني: الجدول العلمي القائم حول فعالية التلقيح وأمنه

شهد موضوع التلقيح الإجماري خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي جدلا علميا كبيرا على المستوى العالمي، يتمحور حول فعالية اللقاحات وأمنها، حيث أنّ هناك اتجاه منكر لفعالية اللقاح وأمنه مستندا إلى دراسات وثقت فشل اللقاحات وآثارها الجانبية الخطيرة، التي تتسبب في إعاقات ووفيات²¹، واتجاه آخر، وهو الغالب يروج لهذه اللقاحات، على أنّها آلية وقائية ضرورية لحماية الفرد والمجتمع من الأمراض الخطيرة والمعدية، ولكل فريق حجج وأسانيد يستند عليها²².

¹⁹ - مراد بدران، أساس المسؤولية عن الأضرار المترتبة عن التلقيح الإجماري، مداخلة مقدمة في الملتقى الوطني حول المسؤولية الطبية، جامعة تيزي وزو، كلية الحقوق، بتاريخ 23 و 24 جانفي 2008، ص. 3 - 6.

²⁰ - François Béguin, Vaccin: un médecin sur dix a des réticences, journal le Monde du 29/09/2016.

²¹ - علاء السيد، التطعيمات بين الخرافة والحقيقة، ترجمة مصطفى عز الدين: www.alaasayid.com/index.php?article.2730.

²² - لؤي خالد باسودان، التطعيم حقائق ومعتقدات خاطئة، جريدة الرياض، بتاريخ 2017/03/25، العدد 16742. <http://www.alriyadh.com.930985>.

المطلب الأول: الاتجاه المنكر لفعالية التلقيح وأمنه

يرى الاتجاه المنكر لفعالية التلقيح وأمنه، أنّ هناك تراجع وانخفاض معتبر في نسبة الأمراض المعدية وسبب هذا التراجع ليس التلقيح، كما جرى الاعتقاد، ولكن يرجع ذلك إلى عدّة عوامل أساسية منها، تحسين الصرف الصحيّ النّظافة، الغذاء، ظروف السّكن المواصلات، البنية التّحتية، وطرق المحافظة على الطّعام، وربّما الدّورات الطّبيعية للأمراض. وهناك تقرير لمنظمة الصّحة العالميّة يشير إلى أنّ انخفاض معدلات الأمراض والوفيات في دول العالم الثالث، ليس لها علاقة بالتّطعيمات أو الأدوية الطّبية، بقدر ما لها علاقة مباشرة بالنّظافة والغذاء.

وفي معظم الحالات، فإنّ أمراض الأطفال المعدية تكون بسيطة ومحدودة ذاتيا وتلعب دورا مهما في تكوين جهاز المناعة مدى الحياة عكس المناعة الناشئة عن التّطعيم فإنّها مؤقتة وقد تؤدي إلى مضاعفات وآثار خطيرة على صحة الطّفل قد تصل إلى درجة الوفاة²³ على النحو الذي يؤكده أنصار الاتجاه المنكر لفعالية التلقيح وأمنه.

أولا: نشاط الحركة القومية لتعويض ضحايا تطعيمات الأطفال في أمريكا

يستشهد أنصار الاتجاه المنكر لفعالية التلقيح وأمنه بنشاط الحركة القومية لتعويض ضحايا تطعيمات الأطفال في أمريكا، حيث قام الكونجرس الأمريكي بتأسيس نظام التبليغ عن الآثار السّلبية أو الجانبيّة للتّطعيمات سنة 1986، والتي تستقبل 11 ألف تقرير عن الآثار الجانبيّة الخطيرة للتّطعيمات كل سنة، وتشمل هذه التقارير من مئة إلى مائتين (100-200) حالة وفاة وعدد أضعاف هذا الرّقم من الإعاقات الدائمة²⁴.

²³ - علاء السيد، التّطعيمات بين الخرافة والحقيقة، المرجع السابق.

²⁴ - www.generationrescve.org/pdf/survey.pdf.

وتشير تقاريرها الرسمية إلى أنّ 15% من الآثار الجانبية للتطعيمات تعتبر خطيرة وتستدعي الاستعجال الطبي، والإقامة في المستشفى مهددة حياة المستهدفين وإصابتهم بعاهات مستديمة.

وأنّ نسبة 50% من مضاعفات تلقي لقاح التهاب الكبد الوبائي (hépatite B) هي حالات جد خطيرة²⁵. ورغم ما تحمله هذه الأرقام من منبهات وتحذيرات فإنّ إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية تقدر أنّه 1% فقط من الآثار السلبية للتطعيمات هو ما يتم التبليغ عنه²⁶.

ويعترف مركز السيطرة على الأمراض أنّ 10% هو ما يتم التبليغ عنه فعلا، في حين أنّ العدد الإجمالي للآثار السلبية للتطعيمات قد يصل إلى 100 ألف حالة كل سنة، والحالات الخطيرة تمثل 20%.

وقد قام المركز القومي لمعلومات التطعيم، وهو منظمة أنشأها أباء وأمّهات لأطفال أصيبوا أو ماتوا نتيجة عملية التطعيم، بأبحاث مستقلة، وتوصل على إثرها إلى أن في نيويورك طبيب واحد من أربعين طبيا فقط، يبلغ عن حالات الإصابة أو الوفاة بسبب التطعيمات، أي 97,5% من الإصابات والوفيات الناجمة عن التطعيم لا يتم التبليغ عنها²⁷.

وقد بينت الدراسات المنجزة العلاقة بين التطعيمات ومتلازمة الموت الفجائي للرضع، وهو تشخيص لحالة الموت الفجائي للرضع، حين يكون سبب الوفاة غير معروف

²⁵ - Les vaccins : cause probable de l'autisme. 20 Janvier 2016. [www.santepusmaf.com](http://www.santeplusmaf.com)

²⁶ - [http://www.pda.gov-ensuringthe safety of vaccines in the united states](http://www.pda.gov-ensuringthe%20safety%20of%20vaccines%20in%20the%20united%20states). July 2011.

²⁷ - علاء السيد، التطعيمات بين الخرافة والحقيقة، المرجع السابق.

حيث وجدت أنّ 3000 طفل يموتون خلال أربع أيام من التّطعيمات المركبة في الولايات المتحدة الأمريكية.²⁸

ويلاحظ أنّ اليابان في منتصف السّبعينات قامت برفع سن بداية التّلقيح من شهرين إلى سنتين وانخفضت على إثر ذلك نسبة حدوث الوفاة المفاجئة للرّضع وأصبحت رائدة في انخفاض معدل وفاة الرّضع في العالم، حيث انتقلت من المرتبة 17 إلى الأولى في التّصنيف العالمي، من حيث انخفاض معدل وفاة الرّضع.²⁹

ثانيا: خطر مكونات اللّقاحات على صحة الطّفل

يستدل أنصار الاتجاه العلمي المنكر أو الرّافض لفعالية التّلقيح وأمنه بمكونات اللّقاحات التي تتكون من مواد معروفة على أنّها سامة ومسرطنة³⁰، مثل مشتق الزّئبق "Thimersol" الذي يمكن أن يتسبب في مرض التّوحد، ومادة أخرى تعرف بـ "Phosphate d'aluminium"، ومادة "Formaldéhyde" الذي صرح بشأنها مركز معلومات السّموم في أستراليا أنّه لا يوجد منه أي كمية آمنة لحقنها في جسم إنسان حي، بالإضافة إلى مادة Phenoxyerhanel.

وبعض هذه المكونات هي مواد سامة تؤثر على الجهاز الهضمي والكبد، والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي والجهاز التناسلي، وعلى القلب والأوعية الدّموية وعلى التّمو والبلوغ.³¹

وينتهي هذا الفريق العلمي هذه الدّراسة بالإدلاء بأنّ مخاطر أمراض الطفولة المعدية قد تمّ تضخيمها وتحويلها، لإثارة رعب الآباء والأمهات، وذلك لصالح عملية تجارية مربحة

²⁸ - Viera Schiebner, PHD, Vaccination:100 years of orthodontic research shows that vaccines represent a medical assault on the immune system, 1993.

²⁹ - علاء السيد، التّطعيمات بين الخرافة والحقيقة، المرجع السابق.

³⁰ - <http://www.halalcertificationturkey.com/a/2015/01/vaccines-get-the-full-story>. اللّقاحات، القصة كاملة

³¹ - <http://www.fourteenstudies.org/studies.html>.

جدا، لا يمكن اعتبارها ثمنا ندفعه من أجل مجتمع خال من الأمراض، فأصبحنا ندفع ثمن اللقاحات وثن الأدوية لمعالجة الأمراض التي تخلفها³².

المطلب الثاني: الاتجاه المؤيد لفعالية التلقيح وأمنه

يرى هذا الاتجاه من الأطباء والباحثين أنّ كل اللقاحات المرخصة من قبل منظمة الصحة العالمية، آمنة وفعالة، ولكن لا يوجد لقاح آمن 100%، ولا يوجد لقاح فعال 100%، أي لا يوجد أي ضمان على أنّ الطفل لن يصاب بآثار جانبية من التطعيم وتصل نسبة فعالية التطعيمات في الوقاية من الأمراض إلى أكثر من 90%³³.

ويبقى الهدف هو تطوير مختلف اللقاحات للوصول إلى أعلى درجة من الحماية مع أدنى معدلات للآثار الجانبية. وإذا ما تمت مقارنة فوائد التلقيح بآثاره الجانبية فإنه يتم ترجيح الفوائد عن المخاطر بكثير، إلى درجة تبرير تلقيح جميع الأطفال تقريبا.

ويضيف أنصار هذا الاتجاه أنّه رغم انخفاض نسبة الأمراض المعدية في العديد من البلدان، إلا أنّ العوامل المعدية تستمر في الانتقال في بعض من أجزاء العالم خاصة في ظل سهولة التنقل والاتصال، فيمكن لهذه الأمراض أن تنتقل عبر الحدود الجغرافية وتصيب أشخاص غير محميين بموجب التلقيح³⁴.

كما لا يوجد أي دليل علمي يؤكد للآثار السلبية على جهاز المناعة لدى الطفل عند تلقيه عدّة لقاحات خلال جلسة واحدة³⁵، وبالعكس هناك إيجابيات أساسية للحصول

³² - أضرار اللقاحات وتعويضات لأطفال أوروبيين. <http://www.novax.org>

³³ Marie Pascal Pomey, Jean Pierre Poullier, Benoit Le Jeune, Santé publique, Ed Ellipses, Paris, 2000, P345

³⁴ - إبراهيم عبد الله الضغيان، اللقاحات الدرع الواقي من الأمراض، جريدة الرياض، بتاريخ 2017/03/25،

العدد 13711، الموقع الإلكتروني: <http://www.alriaydh.com/121152>.

³⁵ - التلقيحات المركبة الثلاثي مثلا ROR ضد الحصبة Rougeole والنكاف Oreillons والحصبة الألمانية

.Rubéole

على أكثر من تلقيح مرة واحدة، منها تقليل الزيارات الصحية، توفير الوقت والمال، احترام جدول التلقيح، وتقليل عدد الحقن المأخوذة من طرف الطفل.

كما لا يوجد ما يثبت أنّ هناك علاقة بين اللقاح والوفاة المفاجئة للرضع، فقط يلاحظ، أنّ هذه اللقاحات تعطى في نفس الفترة التي تكثر فيها ظاهرة الموت المفاجئ للرضع، بمعنى أنّ متلازمة وفاة الرضع المفاجئة تحدث في نفس المرحلة العمرية التي تكثر فيها وفيات الأطفال بغض النظر عن التلقيح. كما أثبتت الدراسات العلمية أنّ للقاحات علاقة وتفاعل مع الجهاز المناعي ولكنها لا تسبب المرض ولا تضع الإنسان أمام عواقب صحية خطيرة³⁶، كما تفعل الأمراض المستهدفة بالتلقيح، التي تؤدي إلى التخلف العقلي في حالة الإصابة بالمستديمة النزلية المسببة لالتهاب السحايا Méningite وسرطان الكبد عند الإصابة بالتهاب الكبد الوبائي Hépatite B أو الموت عند الإصابة بالحصبة Rougeole.

وعموما فإنّ اللقاحات ضرورية لحماية الصحة العمومية وأمنة للغاية، مع الأخذ بعين الاعتبار موانع التلقيح أو مضادات الاستطباب، والآثار الجانبية، الخفيفة العابرة والخطيرة الدائمة التي تعتبر قليلة ونادرة ولكنها موجودة.

أولاً: موانع التلقيح الإلزامي وآثاره الجانبية

تبيّن من هذه الدراسة أنّ الاتجاه المؤيد لفعالية التلقيح وأمنه هو الغالب، مع الأخذ بعين الاعتبار موانع التلقيح والآثار الجانبية المحتملة لبعض التلقيحات.

³⁶ La santé publique, Document du colloque médecine méditerranée, organisé à Rabat (Maroc), par l'institut des sciences de la santé de Paris, ed Boudin, France, 1990, p50.

1) موانع التلقيح الإلزامي:

تعتبر معظم التلقيحات معدّة لتعطي للأشخاص الأصحاء، أو الذين لا تتأثر حالتهم الصحية نتيجة التلقيح. وعادة ما يتم وضع موانع التلقيح Contre indications بدقة في نشرة كل تطعيم من قبل الشركة المصنعة، وغالبا ما تكون موانع التلقيح مؤقتة عند الأطفال طبيعى المناعة، وينصح بعدم استخدام اللقاحات إذا كانت تؤثر بشكل خطير على صحة الأطفال.

وعموما يمكن تلقيح كل الأطفال إلا إذا كانت حالتهم الصحية لا تسمح بذلك، وقد تكون موانع التلقيح شاملة لكل اللقاحات، أو تكون خاصة بلقاح واحد أو أكثر من اللقاحات، ولا يشكل المرض الخفيف عموما أو بدون حمى مانعا للتطعيم³⁷، غير أنه لا يجب تطعيم الأطفال في الحالات الآتية:

- في حالة الإصابة بمرض نقص المناعة، حيث يؤدي وجود ضعف وسائل الجسم الدفاعية ضد الميكروبات (بكتيريا وفيروس) إلى عدم قدرة الشخص المصاب على تكوين الأجسام المضادة، وبالتالي عدم فعالية اللقاح، أو تحول الجراثيم المضعفة في بعض اللقاحات إلى جراثيم قادرة على التسبب في مرض حقيقي، قد يكون خطرا على حياة المريض بسبب ضعف الوسائل الدفاعية لديه.
- في حالة إصابة الطفل بمرض يتطلب العلاج بواسطة الكورتيزون "Cortisone" أو أحد الأدوية المثبطة أو المنقصة للمناعة، كأدوية علاج السرطان، مما يضعف قدرة الجسم على إنتاج أجسام مضادة للقاح، وبالتالي يصبح هذا الأخير خطرا على حياته.
- في حالة إصابة الطفل بحمى مرتفعة أثناء موعد التلقيح، لاحتمال وجود التهاب "Inflammation" بسبب بكتيريا أو فيروس، وهي حالة من حالات موانع الاستطباب

³⁷ - موانع التطعيم والتلقيح عند الطفل <http://www.childerlinic.net/ccs/details-220.html>

أو تكون لدى الطفل حساسية لأحد مكونات اللقاح، مثل الحساسية للبيض في لقاح الحصبة³⁸.

- كما يمنع إعطاء جميع اللقاحات الحية للأطفال المصابين بالسرطان، والخاضعين للعلاج الكيميائي والشعاعي بسبب ضعف جهاز المناعة لديهم. يتبين مما تقدم أنه قد تكون للتلقيح آثار جانبية ومخاطر على النحو الذي يتبين فيما يلي:

ثانيا: آثار التلقيح ومخاطره

تتراوح آثار التلقيح ومخاطره بين الخفيفة والعابرة في أغلب الحالات، وفي حالات أخرى نادرة قد تكون خطيرة ومهددة للحياة، وعند التلقيح يجب الموازنة بين فوائد التلقيح وأمنه وبين مخاطر المرض الطبيعي بالنسبة للشخص والمجتمع³⁹.

1) آثار التلقيح الخفيفة والعابرة:

تعود هذه الآثار في حقيقتها لوجود المكون الفعال للقاح (الفيروس أو الجرثوم الضعيف)، وتحدث هذه الآثار بشكل متكرر عند كل تطعيم ولا يمكن تجنبها، ولكن يمكن التخفيف من حدتها ببعض المسكنات وتمثل في التهاب الموضعي بعد إعطاء اللقاح الثلاثي D.T.C. أو تهيج الطفل Agitation بعد التلقيح الحماسي، أو ارتفاع درجة الحرارة بعد تلقي لقاح الحصبة، وتورم مكان لقاح السل بعد أسابيع من تلقي اللقاح.

2) الآثار الجانبية الخطيرة للقاحات:

لا يمكن الإقرار بالآثار الجانبية الخطيرة المنسوبة للقاح معين إلا إذا حدث إرتكاس بمعدل مرتفع لدى متلقي اللقاح، مقارنة مع مجموعة غير ملقحة من نفس العمر والإقامة،

³⁸ - موانع التطعيم والتلقيح عند الطفل، الموقع السابق.

³⁹ - الآثار الجانبية للتطعيمات واللقاحات <http://www.childerlinic.net/ccs/details-221.html>

أو أن نفس الحادثة تتأكد بعد الجرعات المتتالية من نفس اللقاح، مثل حادثة وفاة سبعة أطفال رضع تتراوح أعمارهم بين 3-18 شهرا، بعد وقت قصير من تطعيمهم في المركز الصحي لبلدية واد الأبطال في ولاية معسكر⁴⁰، وذكرت وسائل الإعلام أنّ اللقاح المستعمل هو DTC المضاد للحصبة والكرزاز والدفتيريا، وقالت مصادر طبية آنذاك أنّ 32 طفلا آخرين ظهرت عليهم آثار جانبية متفاوتة الخطورة أدت إلى نقلهم إلى المستشفى.

وأوفدت وزارة الصحة فريقا طبيا إلى المركز الصحي بواد الأبطال لمعرفة أسباب الوفيات الغامضة، وتقرر وقف التلقيح في كافة ربوع الوطن إلى غاية ظهور نتائج التحقيق. سنوات من بعد تشهد الساحة الوطنية وفاة رضيعتين تبلغان من العمر ثلاثة (03) أشهر عقب تلقيهما لقاح Pentavalents في عيادة البرتقال بالروبية في الجزائر العاصمة، ورضيعة أخرى تبلغ من العمر 13 شهرا بالمؤسسة الاستشفائية بحجى النصر التابع لولاية سعيدة، الأمر الذي أثار مخاوف الأولياء وأدى إلى عزوفهم عن تلقيح أبنائهم⁴¹.

وأكدّ البروفسور خياطي رئيس المنظمة لترقية الصحة أنّ اللقاح الخماسي منذ صدور القرار الوزاري باعتماده بداية سنة 2015 لم يتسبب في وفاة أي رضيع، وقد جرى استعمال 500 ألف إلى مليون حقنة ولم تظهر له آثار أو مضاعفات خطيرة. وبعد حادثة الوفاة، أمرت وزارة الصحة بوقف استعماله في انتظار ما تسفر عنه التحريات وتقارير الطب الشرعي⁴².

⁴⁰ - لقاح الحصبة يقتل سبعة أطفال في الجزائر، الجزيرة.نت. 23.12.2001. www.aljazeera.net

⁴¹ - ب.ت. خطر صحي يهدد الرضع بسبب سحب لقاح با تنافالو

<http://www.essdamonline.com/ara/permalink/56111.html>.01.08.2016.

⁴² - زهيرة مجراب، طوارئ في المراكز الصحية بسبب لقاح باننا فالو <http://www.echoroukonline.com>.

20.07. 2016.

وعموما فإن الآثار الجانبية الخطيرة للقاحات نادرا ما تحدث، ولا يمكن التنبؤ بها وتترك مضاعفات دائمة ومهددة للحياة، ولذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، تم استبدال لقاح شلل الأطفال الفموي OPV بلقاح شلل الأطفال العضلي IPV تجنباً لاحتمال حدوث حالة واحدة من شلل الأطفال من بين مليون طفل تلقوا لقاح الشلل الفموي⁴³.

هذا ومن الصعب إقامة الدليل، أو الإثبات أن اللقاح هو سبب الأعراض الجانبية الخطيرة، لأن هذه التطعيمات تعطى للأطفال خلال فترة زمنية من حياتهم تكثر فيها مثل هذه الأمراض، وتتمثل الأعراض الجانبية الخطيرة للقاحات في الصدمة التحسيسية المؤدية إلى انخفاض ضغط الدم، ضيق في التنفس، طفح جلدي، الحساسية الكبيرة لأحد مكونات اللقاح المؤدية إلى طفح جلدي وحكة شديدة، وارتفاع درجة الحرارة التي تفوق 40 درجة.

الخاتمة:

أخيراً نستنتج من هذه الدراسة، أن للتلقيح دور وقائي من تفشي أمراض معدية وخطيرة على صحة الفرد والمجتمع، وعليه فإنه يندرج ضمن آليات الضبط الإداري للمحافظة على النظام العام في جانبه الصحي، ولهذا الغرض يجب القيام بعملية الموازنة بين فوائد التلقيح وأمنه، وبين مخاطر المرض المعدي الخطير بالنسبة للفرد والمجتمع. ويبقى الطبيب المرجع الوحيد للتأكد من طريقة وسلامة إعطاء اللقاح، باستبيان ما قبل التلقيح للتأكد من صحة الطفل وقابليته للتلقيح، ولا يوجد أي مانع ظرفي أو دائم قد يسبب له آثار جانبية خطيرة.

⁴³ - الآثار الجانبية للتطعيمات واللقاحات <http://www.childclinic.net/ccs/details-221.html>

ويقع على عاتق المصالح الصحية المختصة واجب التأكد من سلامة اللقاحات من حيث مصدرها، مكوناتها وفعاليتها وطريقة حفظها.

وعلى الأولياء تقع المسؤولية الجماعية في حالة الامتناع عن تلقيح أبنائهم، لأنّ ليس لديهم الاختيار في ذلك فالتلقيح إجباري وعلى نفقة السلطات العمومية لتعلقه بحماية النظام العام في جانبه الصحي.

وتتحمل الدولة المسؤولية عن الأضرار الناتجة عن التلقيح الإجباري بقوة القانون على أساس المخاطر، فيكفي على المتضرر أن يثبت أنّ الضرر الذي أصابه له علاقة بالتلقيح، مع الإشارة أنّه تمّ فعلاً تضخيم أمراض الطفولة لصالح عملية تجارية مربحة، لا يمكن اعتبارها ثمنًا ندفعه من أجل مجتمع خالي من الأمراض، فأصبحنا ندفع ثمن اللقاحات، وثن الأدوية لمعالجة الأمراض التي تخلفها.